الاتجاهات النفسية للحركة الإسلامية



09 رجب 1435 هـ ـ 08 / 05 / 2014 م

www.ommaty1401.blogspot.com

تمهيد

لعل البحث من خلال منهج التحليل والتشخيص والعلاج يكاد لا يُوجد له مكان بيننا، بل لا يوجد له علم نستند فيه إلى قواعد المنهج الإسلامي، مقروناً بالتجربة الواقعية.. فنحن نكاد لا نعترف بهذه العلوم ولا ندرجها ضمن "علومنا الشرعية" ! ذلك لانحصار صورة العلم الشرعي وطالبه في صورة تراثية بحتة.. الأمر الذي جعل بيننا وبين فهم أنفسنا وواقعنا فجوة كبيرة، إننا نُدمن منهج "الإدانة والحكم" فلان مبتدع، ضال، مشرك... إلخ من الجانب السلبي، ومن الجانب الإيجابي نحن الطائفة المنصورة، نحن أصحاب الحق، نحن الأفهم، ... إلخ. وبالفعل يكون هناك ابتداع وضلال وشرك، ولكن هل المطلوب هو مجرد الإدانة وإطلاق الأحكام؟ وحرق الآخر وإلغاء وجوده.. أم المطلوب هو إنقاذه، وإرشاده، وإحيائه، بعد أن نكون فهمنا جذور المشكلة، وطبيعة المرض، وتجربة أنواع العلاجات.. فكيف الحال إذا كنا لا نملك ابتداء أدوات الفهم والتحليل؟!

إننا بالطبع سنتخبط في التيه، وسنزيد من وطأة المشكلات، وسنزيد من الفرقة والشقاق والشتات.. إذ ما أسهل الإدانة، وما أسهل إطلاق الاتهامات. وعندما نُستهلك في هذا الجانب من الصراع البيني، فمتى نلتفت لحقيقة المشكلات وجذورها، ونعزم على العلاج؟!

إننا حتى لم نؤسس بعد لعلوم نفسية وتحليلية تعتمد على قيم وتصورات إسلامية ! بل ونعتمد على زبالات الفكر الغربي.. وبالتالي نفقد الرؤية، ونعجز عن الفهم.

وإنني هنا أحاول جاهداً الاقتراب من محاولة فهم الاتجاهات النفسية للحركة الإسلامية، وإن كان تصوري ناقصاً فهو ناقص لقلة المعرفة، ولقلة العمل في هذا الجانب.. ولكن المحاولة مطلوبة، ولعلها تكون البداية لغيري ويكون أكثر وعياً ورؤية ودقة.

وإن محاولة فهم الاتجاهات النفسية للحركة الإسلامية.. الغرض منه هو محاولة فهم الكوامن النفسية، والبواعث الداخلية التي تُشكل عملية الوعي والسلوك، وتكمن أهمية ذلك في مسألة توقع "ردود الفعل"،

والوقوف على "مواطن الخلل"، وفي النهاية محاولة "التصحيح والمعالجة" والارتقاء نحو الصورة الأتقى والأقرب إلى التوازن..

التوازن.. كلمة السر في التصور الإسلامي، التوازن النفسي، والذي بدوره يؤدي – في مجموعه – إلى التوازن الواقعي والمجتمعي وهو أحد أهم أهداف المنهج الإسلامي.. إذا أمسك الإنسان بخط التوازن واستطاع أن يعيش بصورة متوازنة فلا يميل إلى الإفراط، ولا التفريط.. فقد وصول إلى الصورة الراشدة النبوية، والمتتبع للسيرة النبوية من مبدأها إلى منتهاها سيلحظ بوضوح شديد معنى هذا التوازن في كل شيء: في العبادة، والزواج، والعمل، والمأكل، والقتال، والدعوة، والتسامح، والعفو، والجهاد، والغضب، والحلم، والأناة.. إلخ.

وعندما نحدد خط التوازن هذا سيصبح هو المعيار والميزان الذي على أساسه نحلل ونقيم النفوس والواقع.. ولهذا كان محمد ﷺ فخر الإنسانية كلها، وصورة حية مثالية للإنسان المتوازن الذي استطاع – بفضل الله – أن يكون هو أكثر شخصية متوازنة في تاريخ البشرية، واستحق أن يكون أفضل الأنبياء، وأحب خلق الله إلى الله ! ونال هذا الحب من أصحابه، ومن الأجيال من بعده لأن الجميع يرى فيه جزءاً من نفسه.. فالحليم يرى في النبي الكريم الحلم، والحكيم يرى في النبي الكريم الحكمة، والحازم يرى في النبي الكريم الحزم، والقوي يرى في النبي الكريم القوة، والمجاهد يرى في النبي الكريم الجهاد، والكريم يرى في النبي الكريم الكرم، والمحب يرى في النبي الكريم الحب، والزاهد يجد في النبي الكريم الزهد، والمتواضع يرى في النبي الكريم التواضع... إجمالاً هو على خُلق عظيم[1]، صورة متكاملة متوازنة تعبر عن كل خطوط النفس الإنسانية وتلبي حاجاتها دون إفراط أو تفريط، جعلت منه ﷺ مفخرة للإنسانية وتعبيراً مثالياً عنها، وعن مدى قدرتها على الرقي، والارتفاع، ومعبرة على عظمة الخالق سبحانه في تفرّد الإنسان عن الملاك والحيوان..

---

(1) ولعل الله يرزقني شرف الحديث في بحث مستقل عن التكامل النفسي للشخصية المحمدية، وتوازنها. أو يلتقط الفكرة من هو أجدر مني ويقوم بها.

وإن أي خلل في تكوين الصورة المتكاملة للنفس الإنسانية تترك فجوة عميقة، تسبب خللاً في شخصية الإنسان، هذا الخلل ولا شك ينعكس على الواقع فينتقل من أعماق النفس إلى الواقع فنشاهد آثاره دون أن ندرك مكمن الخلل، ومنشأه.

ولأنه من الصعب – لكنه ليس بمستحيل – أن تتكامل النفس بهذه الصورة النبوية، جاء التوجيه النبوي والقرآني بالتكامل الاجتماعي حتى يتم سد فجوات النفس بنفوس الآخرين.. ولهذا نجد طرفاً من الحكمة الربانية في خلق الناس مختلفين؛ حتى يتم البنيان بنفوس ذات استعدادات مختلفة، فذاك حليم، وذاك قوي، وذاك حكيم، وذاك مجاهد، وذاك خلوق، وذاك حازق...إلخ. ولهذا جاء الوصف النبوي للمجتمع المسلم، بالبنيان المرصوص، وبالجسد الواحد.. حتى تتكامل النفوس، وتسد الفجوات، ويصبح المجتمع في أصح حالته، وفي أدق صورة متوازنة.

ثم اعتبر التصور الإسلامي من يُوضع في مكان غير موضعه، كأن يُوضع الحليم في موطن الحزم، أو يُدفع بالأقل كفاءة لاعتبارات ذاتية، وعدم اعتبار رسالة الإسلام، وبنيانها الاجتماعي اعتبر هذا الفعل خيانة لله ورسوله، ولعموم المسلمين!

ويصبح عوامل صحة المجتمع ومرضه وتحلله يأتي طبقاً لشكل البنيان النفسي الاجتماعي، وطبقاً لشكل الجسد النفسي.. فإذا أصبحت اللبنات النفسية في صورة متضادة ومتعاكسة فهذا البنيان سيتهدم وسيُهلك بعضه بعضاً، ولن يكون كما قال النبي ﷺ "**يشد بعضه بعضاً**" بل يتهاوى نتيجة الفشل في التقاء اللبنات النفسية في صورة تكاملية. وأما من حيث الجسد النفسي للنسيج الاجتماعي، فمفهوم من مسمى الجسد هو أيضاً تكامل الأدوار بلا تضاد، وبلا تنافر. وهذا الإعجاز النبوي في هذا التوصيف النفسي والاجتماعي بـ "البنيان والجسد" يعبر بدقة بالغة عن حقيقة الصورة المثالية، والصورة التي يجب العمل عليها.

ونفهم أيضاً من كلمة "البنيان والجسد" أن اللبنات النفسية والأعضاء النفسية يجب أن تنشأ وتخرج قادرة على الالتقاء والتلاحم مع اللبنات النفسية المختلفة، وقادرة على تكوين بنيان اجتماعي وجسد نفسي،

وإلا وقع الشقاق والافتراق، وتفسخ المجتمع إلى "أكوام نفسية" متناحرة مختلفة متعادية، وتلعب هنا "التربية العقلية" دورها في تهيئة النفس لدورها المستقبلي في البنيان النفسي للمجتمع. وعندما تقوم هذه التربية العقلية على منهج "الإدانة والحكم" ونشوء النتوءات الفكرية والنفسية فيستحيل أن تلتقي النتوءات مع اللبنات النفسية المطلوبة للبناء الاجتماعي، ولهذا جاء التحذير شديد اللهجة من "التفرق في الدين" وجعله الله سبحانه من أشد أنواع العذاب ! وجاء الأمر شديد الوضوح "بالاعتصام والاجتماع" ! بل وجاء التفسير القرآني ببيان أن كل فُرقة في الدين سببها "البغي والظلم" وليس الدين، وليس اختلاف طبائع النفوس، بل وليس قصور النفس على الوصول إلى الصورة الإنسانية المتكاملة، فكما ذكرت قبل قليل هذه معالجتها بالبنيان النفسي، والتكامل الاجتماعي.

الخلاصة:

- تعمل النفس على الوصول إلى نقطة التوازن، والصورة المثالية لذلك هو النبي ﷺ، ثم تُقر بجوانب الضعف والعجز فيها عن الوصول إلى الصورة الإنسانية المتكاملة.

- هذا العجز والاعتراف به يقودها أنها بحاجة إلى الآخرين الذين خلقهم الله سبحانه باستعدادات وقدرات وطاقات مختلفة.

- هذا الاعتراف بالحاجة إلى الآخرين ليتكامل البنيان الاجتماعي، يجعل تربيتها العقلية والنفسية مهيئة ومؤهلة للالتقاء والتلاحم بالآخرين، وبالتالي ستعمل التربية العقلية والنفسية على معالجة التشوهات النفسية والفكرية.. لتصبح النفس مؤهلة لتكون لبنة متفرّدة في البنيان.

- هذا البنيان صحته وقوته أن يشد بعضه بعضاً، والجسد النفسي للمجتمع يؤدي أدوراً تكاملية دون أن يعادي بعضها بعضاً، ولا يلغي بعضها بعضاً، ولا ينكر بعضها بعضاً، فكل لبنة نفسية لن تؤدي دورها إلا أن تكون بجانب اللبنات النفسية الأخرى ومعتمدة عليها.

– وفي البنيان يصبح الدفع بالأقل كفاءة، أو وضع لبنة في غير موضعها.. خيانة لله ورسوله وعموم المسلمين.

– وأخيراً، يصبح الحقد والحسد والبغضاء تجاه اللبنات النفسية الأخرى التي حباها الله سبحانه بقدرات خاصة أو استعدادات مختلفة "حالقة" تحلق الدين.. أي تُزيل وجوده من هذا البنيان الاجتماعي. ولكن يبقى نور الله لن يطفأه أحد!

ويكون الظلم والبغي – ومن ضمنه الحقد والحسد – هو سبب التفرق في الدين، وليس ثمة شيء آخر.

❋ ❋ ❋

الاتجاهات النفسية للحركة الإسلامية

الحركة الإسلامية عموماً عجزت عن أداء أدوار تكاملية وتكوين جسد حركي متفاعل ومتكامل الأفعال، نتيجة لـ:

- عدم قدرتها على التحليل النفسي والاجتماعي لها وللمجتمع حولها.
- عدم معالجة التشوهات النفسية والفكرية التي تسببت فيها التربية العقلية، بل ساهمت بمزيد من النتوءات.
- اعتبرت كل طائفة من الحركة الإسلامية نفسها هي "الحق المطلق" والآخر لا شيء، بل عقبة في الطريق. !
- انزلاق الحركة الإسلامية من حمل "الرسالة" إلى تبني "الأيديولوجيا" وهذا تطور طبيعي لانهيار البنية النفسية والجسد الاجتماعي إذ إن الرسالة لا يحملها إلا بنيان يشد بعضه بعضاً، وجسد اجتماعي روحه الرسالة يؤدي أدوراً تكاملية. أما في حالة "الأيديولوجيا" فهي عامل جذب لأصحاب الصور النفسية المتكررة، بمعنى انجذاب ذوي التطابق النفسي، فلابد أن يرى كل فرد في

التكوين الجماعي للأيديولوجيا نفسه في الآخر، وإذ لم يعبر الفرد عن الصورة العامة للتطابق النفسي يتم طرده، لأن الكيان الأيديولوجي لا يسمح بوجود نفوس مختلفة. لابد من التطابق حتى يستمر التجمع الأيديولوجي.

هذا التجمع الأيديولوجي يعمل لصالح الأيديولوجيا التي يحملها، ويعمل لصالح التكوين الأيديولوجي، ولا يمكن تسمية هذا الكيان الأيديولوجي سواء أكان حزباً أو جماعة ببنيان يشد بعضه بعضاً، أو يؤدي أدوراً تكاملية.. لأن البنيان الذي يشد بضعه بعضاً يحمل اللبنات النفسية المتفرّدة في طاقاتها واستعداداتها ويسد كل منها الآخر؛ فيشد بذلك البنيان بعضه بعضاً. أم التجمع الأيديولوجي فهو تجمع فكري ونفسي للنفوس المتشابهة، والمتطابقة.. أي إنه التقاء حاجة، وليس التقاء تكامل.

وهذا بالضبط ما حدث للحركة الإسلامية !

الفرق بين الرسالة والأيديولوجيا:

الرسالة: هي وحدة كلية شاملة يخرج عنها أمة؛ تقوم هذه الأمة على شريعة ربانية ومنهج حياة منبثق عنها.

الأيديولوجيا: صناعة جزئية لتصور محدود.

الرسالة: تربطها العروة الإيمانية الوثقى.

الأيديولوجيا: تربطها الميول النفسية للنفوس المتشابهة.

الرسالة: تخرج عنها أمة تسع كل أفرادها.

الأيديولوجيا: يخرج عنها تنظيم أو كيان أو جماعة.

الرسالة: تقوم على منهجية نقية صافية واضحة لإقامة الدين والشرع، وترعى مصلحة الأمة جمعاء.

الأيديولوجيا: تقوم على مصلحة التنظيم أو الجماعة، وتتحول فيها مصلحة الأمة إلى مصلحة التنظيم.

الرسالة: ترى الأمة كلها، وتعمل للأمة كلها، وتنهض بالأمة كلها.

الأيديولوجيا: ترى التنظيم، وقياداته وأفراده، وتعمل لهم باعتبارهم صورة مختزلة للأمة!

الرسالة: تتسم بالربانية والثبات والشمول والتوازن والإيجابية والمثالية والواقعية والتوحيد.

الأيديولوجيا: تتسم بالتعصب والحزبية وضيق الأفق، ومحدودية الرؤية والنظر، ودوماً ما تكون غير متوازنة.

وأخيراً: الرسالة تُخرج أمة، والفكرة تُخرج تنظيم.

❊ ❊ ❊

تيارات الحركة الإسلامية:

- **الإخوان المسلمين**

يُلاحظ من التكوين النفسي لجماعة الإخوان، وجود نفس عامة متطابقة تكاد تكون صورة بالكربون للجميع.. يغلب عليها: [الحِلم، الأناة، الطيبة، الحب، الهدوء، السياسة، الرغبة في التوافق، المصالحة، استرضاء الآخر، الصبر...إلخ] وغيرها من الصفات التي تعبر عن جانب السياسة والرغبة في معالجة الأمور بمزيد من الهدوء والانتظار والصبر.

وليس في قاموسها، ولا في استعداداتها النفسية التفكير في جانب القوة، والحزم، والشدة، والحسم، والمفاصلة، والمعاداة.

وكل من يحاول أن يخرجها من تكوينها النفسي العام.. إلى أشياء أخرى تأبى، وترفض؛ فيقع الشقاق والتفرق من جانب الطرف المحاول ومن جانب الجماعة، لأنه لا يفهم طبيعة التكوين النفسي الجماعي

الأيديولوجي لهذا التجمع، وهو بمحاولة إخراجها من تكوينها النفسي يعتبر عنصر دخيل على أيدولوجيتها وبالتالي فهو غير مقبول.

- **الجهاد**

يُلاحظ من التكوين النفسي لحركات الجهاد، وجود نفس عامة متطابقة تكاد تكون صورة لمختلف حركات الجهاد يغلب عليها: [الحزم، القوة، الغضب، الحدة، الشجاعة، الرغبة في حسم الأمور، عدم التوافق، التهور، مهاجمة المخالف بقوة، السلاح حل وحيد للتغيير.. إلخ] وغيرها من الصفات التي تعبر عن جانب القوة العسكرية في معالجة الأمور، وعدم اعتبار للمفاهيم السياسية.

وبالطبع ليس في قاموسها، ولا في استعداداتها النفسية التفكير في جانب السياسة، والحكمة، والصبر، والهدوء.

وكل من يحاول إخراجها من تكوينها النفسي العام.. إلى أشياء أخرى تأبى، وترفض؛ فيقع الشقاق والتفرق. ولعنا نلاحظ التناقض الواضح بين جماعة الإخوان وبين تنظيمات الجهاد من حيث التكوين النفسي.. الأمر الذي أنشأ عداوة تاريخية بين الفريقين ! عداوة وصلت لحد الاتهام بالخيانة والتكفير!! وغيرها من جوانب المعاداة الأخرى.

- **السلفيين**

يُلاحظ من التكوين النفسي لبعض التجمعات السلفية، وجود نفس عامة متطابقة تكاد تكون صورة كربونية يغلب عليها: [تقديس التراث، العيش في الماضي، التقليد، الجمود، الاهتمام بتوافه الأمور، التقعير المبالغ فيه، العبادة الكثيرة، الكبر، الغرور، النظر بدونية للناس، الشعور بالوصاية عليهم، الصدام الفكري الغير مبرر، الولع بإطلاق الأحكام، الخوف الغير مبرر من السلطان والقوة] وغيرها من الصفات التي تعبر عن شخصية تعيش خارج الزمان والمكان، وتحاول محاولة مستحيلة لسحب الواقع وجره إلى الماضي!

وهذه الشخصية على هذه الصورة التي ترفض الواقع، وتريد إحضار صورة من الماضي لتعيش بها الحياة.. يصعب أن تكون داخل أي بناء نفسي واجتماعي، بل تعيش معزولة وتخلق بيئتها الأيدولوجية التي تعيش فيها، ولا تستطيع أن تتنفس خارجها. وهي بيئة يغلب عليها الشدة، والتطرف في معالجة أبسط الأمور، وتربيتها العقلية تخلق عقل مملوء بالنتوءات النفسية والفكرية، ويعيش في صراعات الماضي.. وليس عجيباً أنه عندما تنهار أحد هذه النفوس ولا تطيق العيش في هذه البيئة الأيدولوجية الجافة، تكون في حالة من الفسق والفجور والانحراف بصورة عنيفة، نتيجة للانهيارات النفسية المتتالية التي لا تجعلها تصمد أمام الفتن، ويكون من السهل ابتلاعها، وتوظيفها من العدو.

- **التبليغ والدعوة**

يُلاحظ من التكوين النفسي لجماعة التبليغ والدعوة، وجود نفس عامة متطابقة نسخة كربونية يغلب عليها: [شدة التواضع، التبسم، حسن المعشر، قصص التوبة المبالغ فيها، العزوف عن السياسة والمجتمع، عدم اليأس من الناس، الشجاعة في دعوة الناس، صوفية الفكر] وغيرها من الصفات التي تغلب على الشخصية الرهبانية.

وليس في قاموسها، ولا في استعداداتها النفسية أي حديث عن سياسة أو قضايا الأمة المصيرية أو جهاد أو غيره، وتتمحور حول مجرد الدعوة والعبادات.

ولعلنا هنا نشير إلى أصل هذه الجماعة وهي "الهند" وتأثرها باعتزال الصراع بعد المجازر الوحشية ضد المسلمين هناك، وتأثرها بالفكر الغاندي.

- **الصوفية**

الصوفية مدرسة قديمة تعتبر من أقدم المدارس، عمل على إحياء التصوف السني الإمام المجدد أبي حامد الغزالي – رحمه الله – وعنه نشأت المدارس المختلفة التي خرّجت "جيل" صلاح الدين. ولكن لعيوب بنيوية في الدولة الأيوبية انهارت سريعاً بعد أن حققت انتصارات عظيمة، وبقيت مدارس التصوف

كميراث للمشايخ والمريدين، وانحرفت تلك المدارس على أصل نشأتها حتى وصلت إلى الصورة التي عليها الآن من البدع وبعض الشركيات !

والحديث عنها هنا يكمن في كونها جماعة أيدولوجية لها خصائص نفسية عامة وليست جزءاً من الحركة الإسلامية، ولكن لها أتباع بالملايين من عامة الناس، وفيها يختلط التصوف السني بالتصوف البدعي.. لكن المظاهر كاشفة إذ تحول إلى "تجارة" مربحة من أموال النذور وغيرها ممن يأخذونه من سفهاء الناس ! فغلب عليها قشرة خارجية من التصوف، وعمق داخلي من الجشع والطمع وأكل أموال الناس بالباطل !

وعموماً التكوين النفسي للجماعات الصوفية يغلب عليه الطابع الشعبي من [الالتصاق بالناس، التخفف من التكاليف، تحويل الدين إلى مظاهر احتفالية، انتظار الخوارق والمعجزات، التربح من الدين، استغفال الناس، الاهتمام بالرقائق، القدرة على جذب الناس...] وغيرها من صفات شخصية رجل الدين المقدسة في ذهن العامة.

ولعبت الجماعات الصوفية دوراً بارزاً في التلاحم مع الأنظمة السياسية، وإضفاء شرعية عليها. وهي تكره الجماعات الإسلامية الأخرى، وتعاديها وعلى رأسها السلفية.

وعموماً لو ظهرت تجمعات إسلامية أيدولوجية أخرى ستجد فيها نفس الشكل النفسي للجماعات الحالية، الاهتمام بجانب معين هو مصدر الجذب الأيديولوجي والنفسي، وإهمال باقي الجوانب الأخرى.. ومعاداة باقي التجمعات الإسلامية الأخرى.

❋ ❋ ❋

مما سبق من التحليل النفسي نلحظ الآتي:

- هذه التجمعات تجمعات أيدولوجية، أي جمعتها "فكرة" وحيدة، وعادت باقي الأفكار.
- الانجذاب النفسي لهذه التجمعات يتم على أساس التطابق النفسي.
- ولأن الفكرة الأيدولوجية مصدرها الإسلام، ومعنى ظهور أفكار أخرى باسم الإسلام.. يعني جوانب نقص، وبالتالي ينشأ العداء لا التكامل.
- قدرة العدو على توظيف الاختلافات، واشعال جوانب العداء، وضرب الجميع ببعضهم البعض.
- قدرة العدو على التحالف أو اختراق الجماعات.. وهدمها، أو استخدامها أداة هدم للجماعات الأخرى.
- العجز عن تحقيق أي أدوار تكاملية بين الجماعات، والعجز عن تحقيق بنيان يشد بعضه بعضاً، وتكوين جسد اجتماعي واحد.
- التفرق في الدين بغياً وظلماً.

وبقاء الحركة الإسلامية على هذه الاتجاهات النفسية، والقعود دون معالجتها يُنذر بكارثة كبرى في مسيرتها الطويلة، لقد بدأت الحركة الإسلامية بفكرة عامة شاملة لإحياء الأمة، ثم حصل هذا التفرق، حتى وصلنا لما نحن فيه الآن! وإن الحالة الحالية تقتضي التوبة إلى الله سبحانه، والمراجعة الدقيقة والشاملة لأصل الفكرة التي قامت عليها الحركة الإسلامية، وتحليل كل حادثة بدقة بالغة، وإن هذا التحليل لا ينكر ذوي الفضل في كل جماعة، ولا ينكر جهد أي إنسان ابتغى رضى الله ووجهه الكريم، ولا ينكر جهد الحركة الإسلامية في مجموعها في الحفاظ على مسمى "الإسلام" في الوقت الذي كانت فيه الحرب – ومازالت – تريد إلغاء وجود الإسلام تماماً، وتستبدله بالعلمانية المحضة.

إن العدو يضع كل إمكانيته وأدواته وآلياته لفهم الاتجاهات النفسية للحركة الإسلامية؛ ليعمل على هدمها واشعال الخلافات، وبناء الحواجز والعوائق فيما بينها ويساهم في ترسيخها، ويتبنى أي فكر أو عمل يساهم في مزيد من الخلاف والشقاق.

وإن العدو لينزعج بشدة إذا عجز عن تصنيف الحركة الإسلامية، وفهمها، وإحاطتها بمجموعة من التناقضات ! فلا بد لكل فرد مهتم بالإسلام من تصنيفه، وعزله عن غيره، وصفه بجوار المتطابقين نفسياً، وجعل بينه وبين العاملين الآخرين للإسلام حواجز وحوائط كثيرة؛ حتى لا يلتقي البنيان الاجتماعي النفسي، وبطبيعة الحال لن يتكامل ولن يشد بعضه بعضاً !

كما يعمل العدو من خلال فهمه للاتجاهات النفسية للحركة الإسلامية على إنشاء جيوب وجماعات وظيفية – سواء أدركت ذلك أو لم تدرك – هدفها خلخلة الصف الإسلامي، وإزكاء جوانب الخلافات، والتناقضات؛ والحيلولة دون توحده، أو تجانسه، أو تكامله !

ويجب علينا أن نضع إمكاناتنا لفهم الاتجاهات النفسية للحركة الإسلامية لنعمل على تكاملها، وحمايتها من الهدم، ومن الاختراق، وتطهيرها وتفريغها من الجيوب الوظيفية.. وإن محاولة الفهم النفسي للبناء التكويني للجماعات الإسلامية يُسهل علينا عملية المراجعة، ويُفهمنا طبيعة وتوقع ردود الأفعال، ويُفسح في نفوسنا، ويُنور في عقولنا مساحات جديدة لتقبل واقع الآخرين، ومحاولة التقرب منهم وفهمهم بدلاً عن اتهامهم ومعاداتهم.. والنفس عجيبة فإن مجرد تقدير الآخر، وتفهم طبيعته يجعل هناك مساحة مشتركة من القبول والحوار. ولهذا جاء أمر الله: ﴿ قُل لِّعِبَادِى يَقُولُواْ الَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ﴾ [الإسراء : 53]

وإذا تمت لنا المكاشفة النفسية، وأضاءت المساحات المظلمة في داخلنا وصححنا مسارنا، واستطاع البنيان أن يشد بعضه بعضاً، سنتمكن من اختراق التكوين المجتمعي للتيارات الغير إسلامية، وجذبها إلى جادة الصواب، وتحويلها لتكون روافد للإسلام، لا تيارات معادية لحكمه وشرعه.. وإذا فشلنا فعلى الأقل قد عرفنا جوانبها النفسية، واتقينا شرها، وأصبحنا قادرين على احتوائها، وإحباط محاولات خداعنا، ولهذا

فصّل الله الآيات، بل جعل علة تفصيلها بيان سُبل المجرمين: ﴿ وَكَذَلِكَ نفَصِّلُ الآيَاتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ ﴾ [الأنعام: 55]

وحتى تعود الحركة الإسلامية للدور الذي من أجله تحركت، لا سيما وبعد انتفاضة كثير من الشعوب الإسلامية، تطلب الإسلام، وشرع الله، وتريد التحرر من المحتل، وتتطلع إلى اليوم الذي تحمل فيه رسالتها إلى العالمين.. كانت المراجعة والعودة إلى جادة الصواب أشد طلباً، وأكثر إلحاحاً، وأتقى لله..

فلابد للحركة الإسلامية:

(1) من الخروج من الطور الأيديولوجي، إلى مرحلة الرسالة كاملة بلا تفرق في الدين.

(2) معالجة التشوهات النفسية والفكرية التي أنشأتها التربية الخاطئة الحزبية، وكذلك تأثيرات المجتمع وأمراض الاستبداد.

(3) اعتبار الاختلافات الطبيعة بين النفوس، وأنه لا إحياء للأمة إلا بالتكامل فيما بينها.

(4) توظيف الاختلافات الطبيعية لصالح الحركة الإسلامية، وليس استخدامها لتكون معاول هدم.

(5) تكوين لبنات نفسية سوية تصلح لتكوين البنيان المرصوص، والجسد الواحد.

(6) الدفع بالأفضل في كل مجال، دون اعتبار للذات أو الحزب.. بل للإسلام، ومصلحة عموم المسلمين.

(7) وضع آليات دقيقة تمنع إشعال الاختلافات، وتمنع توظيف العدو للاختلافات لضرب الحركة الإسلامية ببعضها.

إننا كما بحاجة إلى السياسة والصبر والحلم كالإخوان، بحاجة إلى الجهاد والقوة والمنعة والشجاعة، وكما نحن بحاجة إلى كليهما فنحن بحاجة كذلك إلى الدعوة والزهد والتصوف السني... إلخ.

يجب علينا أن نرتفع إلى مستوى إدراك طبيعة الرسالة، وإلى الوعي بخطط العدو، وأننا أحوج ما نكون إلى الاجتماع في بنيان مرصوص يشد بعضه بعضاً، ويُكمل بعضه بعضاً؛ حتى نستطيع المواجهة في معارك الأمة المصيرية القائمة والقادمة.

❋ ❋ ❋